[48] ثم لبث أياما، فطلع عليه راكب آخر، فقال له عمرو: ما الخبر ؟ قال: قتل عثمان. قال: فما فعل الناس ؟ فقال: بايعوا عليا. قال: فما فعل على في قتلة عثمان ؟ قال: دخل عليه الوليد ابن عقبة فسأله عن قتله، فقال: ما أمرت ولا نهيت، ولا سرني ولا ساءني. قال: فما فعل بقتلة عثمان ! فقال: آوى ولم يرض، وقد قال له مروان: إن لا تكن أمرت فقد توليت الامر، وإلا تكن قتلت فقد أويت القاتلين، فقال عمرو بن العاص: خلط وا أبو الحسن، قال: ثم كتب عمرو بن العاص إلى سعد بن أبي وقاص يسأله عن قتل عثمان: ومن قتله: ومن تولى كبره ؟ فكتب إليه سعد: إنك سألتني من قتل عثمان ؟ وإني أخبرك أنه قتل بسيف سلته عائشة، وصقله طلحة، وسمه ابن أبي طالب، وسكت الزبير وأشار بيده، وأمسكنا نحن، ولو شئنا دفعنا عنه، ولكن عثمان غير وتغير، وأحسن وأساء، فإن كنا أحسنا فقد أحسنا، وإن كنا أسأنا فنستغفر ا، وأخبرك أن الزبير مغلوب بغلبة أهله وبطلبه بذنبه، وطلحة لو يجد أن يشق بطنه من حب الامارة لشقه. قال: وكان ابن عباس غائبا بمكة المشرفة: فأقبل إلى المدينة وقد بايع الناس عليا. قال ابن عباس: فوجدت عنده المغيرة بن شعبة، فجلست حتى خرج، ثم دخلت عليه، فسألني وساءلته: ثم قلت له: ما قال لك الخارج من عندك آنفا ؟ قال: قال لي قبل هذه الدخلة، أرسل إلى عبد ا بن عامر بعهده على البصرة، وإلى معاوية بعهده على الشام، فإنك تهدئ عليك البلاد، وتسكن عليك الناس. ثم أتأني الآن، فقال لي: إني كنت أشرت عليك برأي لم أتعقبه، فلم أر ذلك رأيا، وإني أرى أن تنبذ إليهما العداوة، فقد كفاك ا عثمان، وهما أهون موتة منه. فقال له ابن عباس: أما المرة الاولى فقد نصحك فيها، وأما الثانية فقد غشك فيها، قال: فإني قد وليتك الشام فسر إليها، قال: قلت: ليس هذا برأى، أترى معاوية وهو ابن عم عثمان مخليا بيني وبين عمله، ولست آمن إن ظفر بي أن يقتلني بعثمان، وأدنى ما هو صانع أن يحبسني ويحكم على، ولكن اكتب إلى معاوية، فمنه وعده، فإن استقام لك الامر فلبعثنى، قال: ثم أرسل بالبيعة إلى الآفاق، وإلى جميع الامصار ! فجاءته البيعة من كل مكان إلا الشام، فإنه لم يأته منها بيعة. فأرسل إلى المغيرة بن شعبة، فقال له: سر إلى الشام فقد وليتكها. قال: تبعثني إلى معاوية وقد قتل ابن عمه، ثم آتيه واليا، فيظن أني من قتلة ابن عمه ؟ ولكن إن شئت ابعث إليه بعهده، فإنه بالحرى إذا بعثت له بعهده أن يسمع ويطيع. فكتب علي إلى معاوية: أما بعد فقد وليتك ما قبلك من الامر والمال: فبايع من قبلك، ثم اقدم إلي في ألف رجل من أهل الشام. فلما أتى معاوية كتاب على دعا بطومار فكتب فيه: من معاوية إلى علي، أما بعد، فإنه: